أي فإنها قوام ما بينكم وبين ربكم معطوف على وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال الزمخشري
وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق
المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وآتوا الزكاة فإنها نظام ما بينكم وبين إخوانكم
وأطيعوا الرسول أي في كل حال يأمركم به وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها
لعلكم ترحمون أي لتكونوا على رجاء الرحمة ممن لا راحم في الحقيقة غيره والفاعل في
قوله تعالى لا تحسبن ضمير المخاطب أي لا تحسبن أيها الطالب الذين كفروا
أي وإن ازدادت كثرتهم على العدو وتجاوزت عظمتهم الحد معجزين لأهل ودنا
وقبيلنا في الأرض أي فإنهم مأخوذون لا محالة وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على
الغيبة وقال النحاس ما علمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا إلا وهو يلحن
قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لأنه لم يأت إلا بمفعول واحد ليحسبن وأجيب
عن ذلك من وجهين أحدهما أن المفعول الأول محذوف تقديره ولا يحسبن الذين
كفروا معجزين إلا إذا حذف أحد المفعولين ضعيف عند البصريين ومنه قول عنترة
ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم أي فلا تظني غيره واقعا الثاني أن
المفعولين هما قوله معجزين في الأرض قاله الكوفيون وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب
وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة وكسرها الباقون وقوله تعالى ومأواهم النار أي
مسكنهم معطوف على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون
أهل ودنا ولا يفوتوننا ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون عليه بالله جهد أيمانهم
ولما كانت سكنى الشيء لا بد أن يكون مصيرا إليه قال تعالى ولبئس المصير أي المرجع
مصيرها فكيف إذا كان على وجه السكنى واختلف في سبب نزول قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر
رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك
فنزلت وقال مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في
وقت فكرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا
يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت واللام في ليستأذنكم للأمر وملك اليمين
يشمل العبيد والإماء قال بعض المفسرين هذا الخطاب وإن كان ظاهره للرجال
فالمراد به الرجال والنساء لأن التذكير يغلب على التأنيث قال الرازي والأولى
عندي أن الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لأن النساء في باب العورة أشد
حالا من الرجال وهو كتحريم الضرب بالقياس على حرمة التأفيف وقال ابن عباس
هي في الرجال والنساء البالغين أو ما قارب البلوغ يستأذنون على كل حال في الليل
والنهار للدخول عليكم كراهة الاطلاع على عوراتكم والنظر بذلك إلى مساكنكم
واختلف العلماء في هذا الأمر فقيل للندب وقيل للوجوب واستظهر والذين أي
وليستأذنكم الذين ظهروا على عورات النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وقيد بقوله تعالى

منكم

منكم ليخرج الكفار والأرقاء وعبر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله ثلاث مرات
في اليوم والليلة وقيل ثلاث استئذانات في كل مرة فإن لم يحصل الإذن رجع المستأذن
كما تقدم المرة الأولى من الأوقات الثلاث من قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من
المضاجع وطرح ثياب النوم المرة الثانية وحين تضعون ثيابكم أي التي للخروج بين
الناس من الظهيرة أي شدة الحر وهو انتصاف النهار والمرة الثالثة من بعد
صلاة العشاء لأنه وقت الانفصال من ثياب اليقظة والاتصال بثياب النوم
وخص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب والالتحاف باللحاف
وأتى بمن في الموضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه وأسقطها
في الأوسط دلالة على استغراقه لأنه غير منضبط ثم علل ذلك بقوله تعالى
ثلاث عورات أي اختلالات في التستر والتحفظ لكم لأنها من ساعات وضع
الثياب والخلوة قال البيضاوي وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل
أعور أي إذا بدا فيه خلل أو سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان
يضع فيها ثيابه فربما بدت عورته وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي في الوصل ثلاث بالنصب
بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه والباقون
بالرفع على أنها خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه أي هي
أوقات ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده ثم بين سبحانه وتعالى
حكم ما عدا ذلك بقوله تعالى مستأنفا ليس عليكم أي في ترك الأمر ولا عليهم
أي ولا المماليك والصبيان في ترك الاستئذان جناح أي إثم وأصل الميل
في الدخول عليكم في جميع الساعات بعدهن أي بعد هذه الأوقات الثلاثة
إذا هجموا عليكم ثم علل الإباحة في غيرها بحرجها لغيرهم بقوله تعالى طوافون عليكم
أي لعمل ما تحتاجون في الخدمة كما أنتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم ويصلح كونهم في
الاستخدام بعضكم طواف على بعض لعمل ما يعجز عن الآخر أو يشق عليه فلو عم
الأمر بالاستئذان لأدى إلى الحرج فإن قيل لم رفع بعضكم على بعض أجيب بأنه رفع بالابتداء
وخبره على بعض طواف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بطواف
مضمرا لتلك الدلالة كذلك أي كما بين ما ذكر يبين الله أي بما له من إحاطة العلم
والقدرة لكم أيها الأمة الآيات في الأحكام وغيرها بعلمه وحكمته والله أي
الذي له الإحاطة العامة بكل شيء عليم بكل شيء حكيم فيما يريده فلا يقدر أحد
على نقضه وختم الآية بهذا الوصف يدل على أنها محكمة لم تنسخ واختلف في ذلك
فقال الزمخشري عن ابن عباس أنه قال آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن
وإني لآمر جاريتي أن تستأذن علي وسأله عطاء أستأذن على أختي قال نعم وإن كانت
في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وقوله
تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وإذا حضر القسمة وعن
ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي

Copyright © King Saud University